

التبيان في تفسير القرآن

(40) وقوله (وإن كنت لمن الساخرين) قال قتادة والسدي: معناه المستهزئين بالنبي والكتاب الذي معه. وقيل: معناه كنت ممن يسخر بمن يدعوني إلى الايمان، ومعناه وما كنت إلا من جملة الساخرين إعترافا منهم على نفوسهم. وقوله تعالى (او تقول لو ان ا^{هـ} هدايتي لكنت من المتقين) معناه فعلنا ذلك لئلا يقول: لو أراد ا^{هـ} هدايتي لكنت من المتقين لمعاصيه خوفا من عقابه (او تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فاكون من المحسنين) ومعناه إنا فعلنا ذلك لئلا يتمنوا إذا نزل بهم البلاء والعذاب يوم القيامة لو أن لي رجعة إلى دار الدنيا لكنت ممن يفعل الطاعات. ونصب (فاكون) على انه جواب (لو) ويجوز أن يكون نصبا باضمار (ان) بمعنى لو أن لي كرة فان اكون. وفي ذلك دليل على بطلان مذهب المجبرة في أن الكافر لا يقدر على الايمان لانه لو كان إذا رد لا يقدر إلا على الكفر لم يكن لتميئه معنى. ثم قال تعالى منكر عليهم " بلى قد جاءتك آياتي " أي حجتي ودلالاتي " فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين " الجاحدين لنعمي عليك. وإنما خاطب بالتذكير والنفس مؤنثة لانه أراد يا إنسان. ثم اخبر تعالى عن حال الكفار في الآخرة، فقال " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على ا^{هـ} وجوههم مسودة " جزاء على كفرهم. ثم قال " اليس في جهنم مثوى " أي موضع إقامة " للمتكبرين " الذين تكبروا عن طاعة ا^{هـ} وعصوا أوامره.